**اغراض وموضوعات الشعر العربي قبل الاسلام:ج٢**
**محاضرات تاريخ الادب العربي قبل الاسلام الصف الاول الفصل الاول**
**ا.م.د.اياد سالم ابراهيم**

## ٤- الهجاء :

يعد الهجاء من الفنون الشعرية الأصيلة ؛ لاتصاله المباشر بالنزاعات والصراعات القبلية في عصر ما قبل الإسلام .

((والهجاء نقيض المدح أو بالأحرى إنه الوجه الآخر السلبي له يعبر عن وجوه القبح واليأس ، إنه تجسيد لملامح الشر والاختلال ، والشعور بالنقص)). يعمد الشاعر فيه إلى سلب المهجو من فضائله النفسية. وتجريده من الصفات الخلقية الحسنة، ولا شك في أن الظروف التي أحاطت بالبيئة الجاهلية من صراعات ونزاعات كانت من أهم العوامل المثيرة والمحفزة لنشأة هذا الغرض ، فقد جاء لكشف دور الشاعر في ظل مجتمعه ، وما يقوم بينه وبين غيره من علائق إنسانية .

درج الشعراء منذ العصور الأولى على هجاء أعدائهم وخصومهم فدارت معانيهم حول كل ما يناقض مثل المجتمع وفضائله ، فما أن يبدأ الشاعر بالهجاء حتى يحاول جاهدا أن يجرد مهجوه من هذه المثل جميعا ، وأن يسخر منه ما استطاع ، حتى يحط من قدره بين الناس .

قد يكون الهجاء بدافع شخصي (( ويكون مثارة المنازعات الفردية والخلافات التي لا بد أن تنشأ من احتكاك الناس وتعارض مصالحهم في بيئة تقوم على القتل والنزاع في سبيل الحياة )) ، أو قد يكون بدافع قبلي ، فيأخذ مسلكا آخر فترى الشاعر هنا يستخدم كل ما يعرفه أو ما يسمعه من مخازي القبيلة ومثالبها في الماضي ، فيكون هجاؤه مصحوبا بنغمة الفخر الجماعي .

ومما لا ريب فيه أن توظيف الشعراء لمفردات الطبيعة قد دل على قدرة الشعراء في اختيار ما يتناسب مع هجائهم كقول عنترة بن شداد يهجو بنو العشراء:

**سيأتيكم عني وإن كنت نائيا دخان العلندى دون بيتي مذود**
**قصائد من قبل امرئ يحتذيكم بني العشراء فارتدوا وتقلدوا**

فيجعل الشاعر من تأثير قصائده كتأثير دخان شجر ( العلندى ) الذي يتصف بسرعة انتشاره ، وكثرته ، وبما يخلفه من آلام عند من يحيط بهم .

بينما يجعل بشر بن أبي خازم من أرجل أعدائه كعصي شجر الطلح ؛ لأن أغصانه لا تنبت إلا معوجة ليدلل على أنهم عرجان ولينتقص منهم بقوله:

**لله در بني الحداء من نفر وكل جار على جيرانه كلب**
**إذا غدوا وعصي الطلح أرجلهم كما تنصب وسط البيعة الصلب**

ويستثمر الأعشى الكبير من الشجر عيدانها في هجائه شيبان بن شهاب الجحدري بقوله:

**فجروا على ما عودوا ولكل عادات إمارة**
**والعود يعصر ماؤه ولكل عيدان عصارة**

فجعلهم يجرون على ما ألفوا من خنوع واستكانة فعصارة العود تنبأ عن نوعه ، إن كانت طيبة فما ينتج عنها إلا طيب وإلا فالعكس .

## ٥- الغزل :

والغزل في ابسط تعاريفه تعبير عن ظاهرة الاعجاب بالمرأة درج الشعراء في عصر ما قبل الإسلام على أن تكون دموعهم ، وزفراتهم تعبيرا عن وجدهم ، وترجمانا لهم ، وأن يرسلوا نفثات شجونهم أغاني وألحانا ، فيجعلوها في قصائدهم . ترددت في هذا الموضوع مفردات ثلاث تقاربت وتشابكت في دلالاتها ، وهي (( النسيب ، والتشبيب ، والغزل )) ، وعلى الرغم من اختلاف التسميات فإنها جاءت للدلالة على معنى واحد ، فشبب ونسب وغزل تعطي معنى حديث الفتيان والفتيات ، والغزل اللهو مع النساء ومحادثتهن، واستعمله قدماء النقاد بهذا المعنى .

وهي تشير إلى علاقة اجتماعية لا تقوم على طرف واحد ، إنما على طرفين أساسهما الرجل والمرأة يشتركان في عاطفة واحدة ، والغزل من أصدق الأغراض الشعرية عاطفة، ولذلك كان وثيق الصلة بالبيئة بل إنه في بعض جوانبه تصوير دقيق لها .

ولقد اتجهت استعمالات الشعراء لمفردات الطبيعة في هذا الغرض إلى الإفصاح عن القيم الجمالية للمرأة ، فبرزت واضحة في استلهاماتهم لها كتعابير رمزية لا تكاد تختلف عما ورد في المقدمة الغزلية إلا قليلا ، فأصبحت المفردات رموزا جمالية للحبيبة ، ورمزا للإشراق في شكلها ، فأصبحت التجربة الموضوعية في حديث الغزل تذوب في ميدان الطبيعة ويطالعنا امرؤ القيس بقوله :

**وكشح لطيف وساق كأنبوب السقي المذلل**
**كالجديل مخصر أساريع ظبي أو مساويك إسحل**
**وتعطو برخص غير**
**شثنٍ كأنه**

فاستحضار الشاعر لنبات البردي وسط النخل المسقي يدل على غضارته ، ونضارته ، فقابل به سيقان حبيبته من حيث النعومة والطراوة ، ثم يشبه أصابعها بمساويك شجر( الإسحل ) ليدلل على ملاستها واستوائها علاوة على الدلالات الجمالية التي يبعثها نبات البردي وشجر الإسحل .

أما شعر الحبيبة فكان مثار إعجاب الشعراء في غزلهم بحبيباتهم فيوظف امرؤ القيس من الطبيعة قنو النخلة المتداخل ليشبه به شعر حبيبته ليدلل على كثافته وتداخله بقوله:

**وفرع يغشي المتن أثيث كقنو النخلة المتعثكل**
**أسود فاحم**

وهكذا أبدع الشعراء في هذا الغرض ، ورسموا مشاهد غاية في الجمال والروعة عندما جعلوا مفردات الطبيعة تتداخل في غزلهم ليضفوا على المرأة مسحة جمالية ، فعبرت هذه التوظيفات عن صورتها التي تخيلوها في أذهانهم .

## ٦- الحكمة :

هي موضوع شعري قديم ورد في الشعر العربي قبل الإسلام ، وأجاد فيها الشعراء ؛ لأنها تعبير صادق عن تجارب واقعية عاشها الشاعر ، أو خبرها في سلوك الأفراد ، والجماعات ، وفي أخبار الماضين فصاغها حكمة بالغة للفائدة ، والاعتبار ، والموعظة الحسنة ، (( فجاءت صدى لصفاء الفطرة ، ودقة الإحساس ، وكثرة التجارب ، والقدرة على استخلاص العبرة مما يمر من الأحداث وهي تشف عن عقل راجح يتمتع بقدرة على الموازنة والاستنتاج )).

والناظر في شعر ما قبل الإسلام يجد أن ثمة شعراء كانوا قد طرقوا أبواب الحكمة في غير قليل من قصائدهم ، إلا أنها لم تكن شائعة شيوع الأغراض الأخرى فقد تعرض لها الشعراء في ثنايا قصائدهم بأبيات قليلة فيها من الوعظ والإرشاد ، وارتبطت أغلب حكمهم بمسألة الموت والشعور بالفناء ، فجعلتهم يصوغون أبياتا شعرية تكشف عن عمق بصيرتهم .

ولعلهم وجدوا فيها إيحاءات أعانتهم على البوح بما هو راسخ في دواخلهم تجاه الأمور التي غدت تحكم تجاربهم الموضوعية ، فاستلهموها ليعبروا من خلالها عما يضبط مسيرة الحياة ويطالعنا بذلك قول كعب بن زهير:

**بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط إذا الفتى للمنايا مسلم غلق**
**والمرء والمال ينمي ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه وينسحق**
**كـالغصن بينا تراه ناعما هدبا إذا هـاج وأنـحت عن أفنانه الورق**

فهذه اللفتة القدرية لم تفت الشاعر في أن يعقد صلة بين تلك الأغصان والأشجار التي يراها مخضرة ثم تذوي ، وبين حياة الإنسان صلة تنم عن قدرة فنية ليست فقط في التقاط تشبيهاته من البيئة حسب بل عقد الصلة الزمنية بين مظاهرها في الإنسان ورؤيته الحياة في النبات .

ويطالعنا بذلك قول بيهس بن هلال الفزاري :

**سوف ترى وهي خلاء بلقع حصاد كل زارع ما يزرع**

فالشاعر أفصح عما في داخله ، وكأنه يسعى إلى سن نظام يرسي فيه التعاليم التي تنم عن أن لكل امرئ ما عمل كما أن لكل زارع ما يحصد على وفق ما يزرع إن خيرا فخير وإن شرا فشر بعقلية واعية عن طريق الإيحاء بتوظيف الزارع والمزروع ، ومثله يقول أبو أخزم الطائي:

**كل امرئ يا عمر حاصد زرعه والزرع شيء لا محالة يحصد**

وهذه الأمثلة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن أقوال الشعراء هذه لم تأت من فراغ إنما جاءت عن تأمل واسع ، وخبرة وإن بدت ظاهرية إلا أنها تتسم بالعمق

## ٧- الوصف :

وهو من الأغراض الشعرية الكبرى في الأدب العربي حظيت الطبيعة منه بحظ وافر ، وهو في معناه اللغوي ، التحلية والتجميل ، يقال : وصفت الشيء له وعليه وصفا وصفة أي : حلاه وجمله.

وهو عند الأدباء : (( تصوير الظواهر الطبيعية بصور واضحة التقاسيم ، وتحليل الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ٠٠٠ )) .

برع الجاهليون فيه (( فوصفوا الصحراء وآلها...ووقفوا وقفات مطولة أمام الرياض التي باكرها الوسمي ، وجاد المسبل عليها فتضاحك زهرها والتف نبتها)) وكذلك (( تأملوا في الأمطار والسحب والبرق فرسموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الأصيل )) فهم لا يذكرون شيئا ليس من بيئتهم وإنما يذكرون ما تقع أعينهم عليه وما يحسونه .

لم يفرد الوصف في باب خاص وحده إنما تداخل مع جميع فنون الشعر وقد أشار إلى ذلك ابن رشيق بقوله : (( والشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ))والوصف يحتاج إلى شدة الملاحظة ودقة الانتباه وقوة البصر وهي من الأمور التي توفرت للشاعر – الأول – فساعدته على أن ينقل إلينا بشعره كل ما شاهده ورآه في عينه من مظاهر الطبيعة.

ومن الامثلة وصف المطر العنيف ( السيول ) من قبل الشعراء من خلال مشاهدها التصويرية وفي تصوير شدته وقوته التي لا يقف أمامها أي قوى ، فهو يقلع أضخم الأشجار ويبطحها كما في قول امرئ القيس:

**أحـــار تـــرى برقـــا كـــأن وميضـــه كلمـــع اليـــدين فـــي حبـــي مكلـــل**
**يضـــيء ســـناه أو مصـــابيح راهـــب أهـــان الســـليط فـــي الـــذبال المفتـــل**
**وأضـــحى يســـح المـــاء عـــن كـــل فيقـــة يكـــب علـــى الأذقـــان دوح الكنهبـــل**

**وتيمـــاء لـــم يتـــرك بهـــا جـــذع نخلـــة ولا أطمـــــــا إلا مشـــــــيدا بجنـــــــدل**
**كـــأن ســـــباعا فيـــه غرقـــى غديـــة بأرجائـــه القصـــوى أنـــابيش عنصـــل**

فحركات الوصف هنا عنيفة يشيع فيها الخوف ، والرعب إلا أنه يعقب ذلك الأمر مشاهد البهجة والسرور بعد أن يهدأ السيل فتضحك أنظار المجدبين والمطر يغدق بجودة على تلك الأرض القاحلة بالنباتات والأعشاب والأزهار
ويرسم عدي بن زيد العبادي لوحة وصفية جميلة إذ يصف الظباء داخل الروضة ، وهن يأكلن من نباتاتها في حياة هانئة إلى أن يكبرن بقوله:

**وذي تنـــــاوير ممعـــــون لـــــه صـــــبح يغـــــذو أوابـــــد قـــــد أفلـــــين أمهـــــارا**
**والخـــــنس يـــــزجين غنـــــا فـــــي طوائفـــــه يضرســـــن مـــــن خـــــروع ريـــــان أثمـــــارا**

أما المرأة فكان لها جانب في شعر الوصف ، فدخلت الطبيعة النباتية لتعطي بعض صفاتها كقول طفيل الغنوي:

**إن النســـــاء كأشـــــجار نبـــــتن معـــــا منهـــــا المـــــرار وبعـــــض المـــــر مـــــأكول**

فالشاعر باستحضاره للأشجار وأنواعها في تشبيه النساء بها ليوضح من خلالها أن النساء منهن ما هي كالشجرة المرة إلا أنها لا تضر كما أن بعض المر مأكول علاوة على الدلالة الشكلية تختفي دلالة أخرى هي التشابه بين عطاء المرأة وعطاء الشجرة ما بين الثمار والأطفال ، ودلالات جمالية جامعة بين شكل الشجرة وألوانها الزاهية والمرأة ، فالشجرة لها قيمة خاصة في المجتمع العربي ؛ لأنها مقدسة وقداستها ( تجسد التجربة الدائمة لتجدد العالم وانبعاثه ) وترمز إلى الحياة المعطاة المثقلة بعناصر الخير والنماء وهذه المعاني مما وجدناه مرموزا إليه بما تمنحه المرأة للحياة من عطاء دائم متجدد

ويصف امرؤ القيس أيضا حبة الشعير بقوله :

**تلـــك الشـــعيرة تســـقى فـــي ســـنابلها فأخرجـــت بعـــد طـــول المكـــث أكداســـا**